سكرات الموت

وما بعده

تأليف

طه عبد الرءوف سعد
من علماء الأزهر الشريف

سعد حسن محمد على
مدرس بالأزهر الشريف

يطلب من

مكتبة العلم الإسلامية

ع النشيلى من ش سيد الدواخلى ـ أمام جامعة الأزهر

ت: ٥٩٢١٦٩١

رقـــم الإيـــداع
2000/4946

الترقيـــم الـــدولى
I . S . B . N
977-5442-24-9



مقدمة

الحمد لله الذى أذل الجبابرة بحلول الموت ووفاة آجالهم.

أحمده سبحانه، خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو اللطيف الخبير.

وأشهد أن لا إله إلا الله، يفنى الخلق ويبقى قائلا: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ فلا يجد من يجيبه من نبى مرسل ولا ملك مقرب فيجيب نفسه العظيمة جل جلاله قائلا: ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾.

وأصلى وأسلم على سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله، خير من مات من الخلق ولقى ربه فتلقاه بالتحية والإكرام والشوق إلى جنان عرضها السموات والأرض، والتى حرمت على الخلق حتى تشرف بخير الخلق.

صلى الله عليك سيدى يا رسول الله يا من أتيت إلى الحياة مبشراً وطلعت فى الأكوان بدرا نيرا، وهديتنا بأمر ربك إلى صراط مستقيم وطريق قويم، حتى نقابل وجه رب كريم مطمئنين طامعين فى أن يخفف الله عنا سكرات الموت وأن تبشرنا ملائكة الله تعالى بروح وريحان ورب راض غير غضبان.

وأن يكون خير يوم مر علينا هو يوم موتنا، وأن ينجينا من عذاب في القبر، وعذاب فى النار، يا كريم يا حنان يا رءوف

يا رحمن، يا خـالق النار لمن عصـاك، والجنة لمن أطاعك وربا ارتضاك.

أما بعد ،،،

فإن الحـياة مـهمـا طالت فهى قـصيرة والـمغطىَ بهـا عريان والطامع فيها محروم والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

وها نحن نكتب هذا الكتـاب تذكـرة لأنفسنا ونصـيحـة لأبناء جنسنا عسى أن نخفف من حبنا للدنيـا ونتجه - وحق لنا الاتجاه - إلى العقـبى ونتذكر الموت ولا ننسـاه ونعمل له ولما بعد الـحياة ولا ننسى عذاب القبر ونعيمه، فـإذا كان هناك عذاب فى القبر فما بعده يوم القـيامة أشد، وإن كان هناك نعـيم ورَوْح وريحان ورب كريم رحيم غير غضبان فهنيًّا لنا ما بعده فى جنة أعدت للمتقين.

فهيا معا أيها الأخ المسلم الكريم نقرأ ونستمتع ونتعظ بما فى هذا الكتاب الصـغير فى مبناه الكـبير العظيم فى محـتواه، ونحن نرجو مـمن قرأ كتـابنا هذا فانتفع به أن يحـرص على أن ينفع به كل من استطاع من أهله وأقاربه وأصدقائه وأن يدعو لنا أن نجتمع معه فى جنة الخلد، وأن يكون أعظم نعـيمنا وأعلاه وأدومه النظر إلى وجه ربنا الكريم مع النبيين والصديقـين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

اللهم اجعلنا من الذين يقولون فيفعلون، ويفعلون فيخلصون، ويخلصـون فيـقبلون، وسـلام على المـرسلين، وآخرُ دعـوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلفان

ذكر الموت والاستعداد له وفضله

يقول العلماء: إن الموت هو الحقيقة الوحيدة فى هذه الدنيا، فكل شىء فى الوجود كان من الممكن أن يوجد أو لا يوجد، ومع وجود الإنسان، والاتفاق على الموت إذن لا بد للإنسان من الموت، بالإضافة إلى كل نفس تتمتع بالحياة لا بد لها من الموت، قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (العنكبوت: ٥٧) فكان لزامًا على الإنسان وهو المخلوق الوحيد فوق الأرض الذى يتمتع بنعمة العقل أن يتذكر الموت ويكون دائمًا على استعداد له ويأخذ منه الموعظة.

- روى النسائى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «أكثروا ذكر هاذم اللذات» يعنى الموت.

- روى ابن ماجه عن ابن عمر أنه قال: «كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبى ﷺ فقال يا رسول الله: أى المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقًا» قال: فأى المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا، أولئك الأكياس».

وروى الترمذى عن شداد بن أوس قال: قال النبى ﷺ:

«الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله».

وبذكر الموت يهون على الإنسان ما هو فيه من صعاب الحياة التى لا تدوم لأن الموت أصعب، وبذكر الموت ينتهى الإنسان عن الاغترار بنفسه وبما هى فيه من نعمة زائلة.

وقد اتفقت الأمة على أن الموت ليس له سن معلومة، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم، وذلك حتى يكون الإنسان دائمًا على استعداد له.

الاستعداد للموت

الاستعداد للموت يكون بالتوبة من المعاصى، والخروج من المظالم، قال تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ (الكهف: ١١٠).

أى فمن كان يرجو ثواب الله ويخاف عقابه فليخلص له العبادة، ولا يرائى بعمله، ولا يبتغى بما يعمل غير وجه الله سبحانه فإنه تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم.

فضل ذكر الموت

- روى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا ذكر الموت، فإنه يمحص الذنوب، ويزهد فى الدنيا».

قيل يا رسول الله: هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: «نعم، من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة».

وقال السدى فى قوله تعالى: ﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (الملك: ٢) أى أكثركم ذكرًا للموت، وله أحسن استعدادا، ومنه أشد خوفًا وحذرًا.

قال علماؤنا - رحمة الله عليهم - قوله ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت» كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من تمنيها فى المستقبل وزهد فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويق الألفاظ، وإلا ففى قوله ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات» مع قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (آل عمران: ١٨٥) ما يكفى السامع له، ويشغل الناظر فيه.

قال الشاعر:

واذكر الموت تجد راحة
فى ادكار الموت تقصير الأمل

العمل لما بعد الموت

إن الموت يأتى بغتة دون نذير، وذلك ليكون الإنسان دائمًا

على أهبة الاستعداد له بالصلاة والصوم والزكاة والتوبة من الذنوب وبجميع أنواع العبادات يتقرب بها إلى الله تعالى، وكان يزيد الرقاشى يقول لنفسه: ويحك يا يزيد، من ذا يصلى عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم؟ مَنِ الموت طالبه، والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله؟ ثم يبكى حتى يسقط مغشيا عليه.

وقال التيمى: شيئان قطعا عنى لذة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الموقف بين يدى الله تعالى.

وكان عمر بن عبد العزيز ﷺ يجمع العلماء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة، فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة.

وقال أبو نعيم: كان الثورى إذا ذكر الموت لا يُنتفع به أياما، فإن سئل عن شىء قال: لا أدرى لا أدرى.

وقال أسباط: ذُكر عند النبى ﷺ رجل فأثنى عليه فقال ﷺ «كيف ذكره للموت»؟ فلم يذكر ذلك عنه، فقال: «ما هو كما تقولون».

عقاب من نسي الموت

إن ذكر الموت يجعل الإنسان دائمًا متفكرًا فى الله عز وجل خـائفًـا من عقـابة راجـيًـا ثوابه، دائمًـا فى طاعتـه فى السـر والعلانية.

فـتفكـر يا مغـرور فى المـوت وسكرته، وصـعـوبة كأسـه ومـرارته، فيـا للموت من وعـد مـا أصدقـه، ومن حاكم مـا أعـدله، كفـى بالموت مقرحا للقلوب، ومبكيا للعيون، ومفرقا للجماعات، وهاذما للذات، وقاطعا للأمنيات، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك، وانتقـالك من موضعك، وإذا نقلت من سـعة إلى ضـيق، وخانك الصـاحب والرفيق، وهجـرك الأخ والصديق، وأخذت من فـراشك وغطائك إلى غرر وغطوك من بعد لين لحافك بتـراب ومدر، فيا جامع المال، والمـجتهد فى البنيـــان ليس لك والله من مـــال إلا الأكـفـــان، بل هى والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب، فأين الذى جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهـوال؟ كلا، بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك، ولقد أحسن من قال فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ (القصص: ٧٧) أى اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة

وهى الجنة، فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه فى الآخرة، لا فى الطين والماء والتجبر والبغى، فكأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذى هو الكفن.

النهى عن تمنى الموت

قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، وهو من أعظم المصائب، وقد سماه الله تعالى مصيبة فى قوله تعالى: ﴿ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ (المائدة: ١٠٦) فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى، قال علماؤنا: وأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وقلة التفكر فيه، وترك العمل له، وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر، وفى خبر يروى عن النبى ﷺ «لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا».

وعن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» ومعنى هذا أن المؤمن عند الموت عندما يرى ثواب الله يتمنى لقاء الله، وأن الكافر عندما يرى ما أُعِد له من عقاب فيكره لقاء الله.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن تمنى الموت والدعاء به، فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا فليقل: اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى».

(مسلم - البخارى)

من الذى يطلب الموت

روى عن سهل بن عبد الله التسترى أنه قال: لا يتمنى أحدكم الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل بما بعد الموت، أو رجل يفر من أقدار الله تعالى عليه، أو مشتاق محب للقاء الله عز وجل.

الموت خير للمؤمن

روى أن ملك الموت عليه السلام جاء إلى إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن عز وجل ليقبض روحه، فقال إبراهيم: يا ملك الموت هل رأيت خليلا يقبض روح خليله؟ فعرج ملك الموت عليه السلام إلى ربه فقال قل له: هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله؟ فرجع فقال اقبض روحى الساعة.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ما من مؤمن إلا والموت خير له فمن لم يصدقنى فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ

﴿لِلأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٨) وقال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

وقال حبان بن الأسود: «الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب».

جواز تمنى الموت والدعاء به خوف ذهاب الدين

قال الله عز وجل مخبرا عن يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١).

قال قتادة: لم يتمن الموت أحد: نبى ولا غيره إلا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم، وجمع له الشمل: اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١) فاشتاق إلى لقاء ربه عز وجل.

وقيل: إن يوسف عليه السلام لم يتمنَّ الموت وإنما تمنى الموافاة على الإسلام، أى إذا جاء أجلى توفنى مسلما، وهذا هو القول المختار فى تأويل الآية عند أهل التأويل، والله أعلم.

وأخبر سبحانه وتعالى عن مريم عليها السلام فى قولها:

﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ (مريم: ٢٣) قيل إنما تمنت الموت لوجهين:

أحدهما: أنهـا خافت أن يظن بـها السـوء فى دينهـا وتُعيَّـر فيفتنها ذلك.

الثانى: لئلا يقع قوم بسـببها فى البهتـان والزور والنسبة إلى الزنا، وذلك مهلك لهم، والله أعلم.

عن مـــالك عن أبى الزنـاد عن الأعـرج عـن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقـوم الساعة حتى يمـر الرجل بقبر الرجل فيقـول: يا ليتنى مكانه» وذلك لما سـيكون من شدة ما ينزل بالناس من فساد الحال فى الدين، وضعفه وخوف ذهابه، لا لضر ينزل بالمرء فى جسمـه أو غير ذلك من ذهاب ماله مما يحط به عنه خطاياه.

ومـمن يتـمنى المـوت ولكـن ليس خـوفـا من ذهاب دينه (الشهيد) فقد ورد أن المجاهد فى سبيل الله يتمنى أن يعود حيا ثم يقتل ويموت، وذلك حـبا فى الشهادة، ولما رأى فـيها من كرامات.

فـعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبى ﷺ قـال: «ما أحـد يدخل الجنة، يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من

شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة».

بادروا بالموت ستا

ذكر أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد والاستذكار من حديث زاذان أبى عمر عن عليم الكندى قال: كنت جالسا مع أبى العباس الغفارى على سطح فرأى ناسا يتحملون من الطاعون فقال: يا طاعون خذنى إليك (يقولها ثلاثا) فقال عليم: لم تقول هذا؟ ألم يقل رسول الله ﷺ «لا يتمنين أحدكم الموت فإنه عند ذلك انقطاع عمله ولا يرد فيستعتب» فقال أبو العباس: أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بادروا بالموت ستا: إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم، واستخفافا بالدم، وقطيعة الرحم، ونشئا يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل ليغنيهم بالقرآن وإن كان أقلهم فقها».

ما يسبق الموت من مقدمات

ورد أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت عليه السلام: أما لك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك؟ قال: نعم لى والله رسل كثيرة من الإعلال والأمراض والشيب والهرم، وتغير السمع والبصر، فإذا لم

يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب فإذا قبضته ناديته: **ألم أقدم إليك رسولا بعد رسول ونذيرا بعد نذير، فأنا الرسول الذى** ليس بعدى رسول، وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير.

وما من يوم تطلع فيه شمس ولا تغرب إلا وملك الموت ينادى: يا أبناء الأربعين، **هذا وقت أخذ** الزاد، أذهانكم حاضرة، وأعضاؤكم قوية شداد، يا أبناء الخمسين: **قد دنا** وقت الأخذ والحصاد، ويا أبناء الستين: **قد نسيتم العقاب** وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير.

يقول الله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** ﴾ (فاطر: ٣٧).

وجاء فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «أعذر الله إلى امرئ أخَّر أجله حتى بلغ ستين سنة» يقال فى اللغة: أعذر فى الأمر: أى بالغ فيه، وأعذر غاية الإعذار بعبده.

المؤمن يموت بعرق الجبين

ابن ماجه عن بريدة أن النبى ﷺ قال: «المؤمن يموت بعرق الجبين» (الترمذى).

وروى عن سلمان الفارسى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

يقول: «ارقبوا للميت عند موته ثلاثا: إن رشح جبينه، وذرفت عيناه، وانتشرت منخراه فـهى رحمة الله قد نزلت به، وإن غط غطيط البكر المخنوق، وخمد لونه، وأزبد شدقاه، فهو عذاب من الله تعالى قد حل به» (الترمذى).

قـال التـرمـذى فى (نوادر الأصـول): قال عـبـد الله: إن المؤمن يبقى عـليه خطايا من خطاياه فيجـازف بها عند الموت أى يُجازى فيعرق لذلك جبينه.

وقال بعض العلماء: إنما يعرق جبينه حياء من ربه لما اقترف من مخـالفتـه، لأن ما سـفل منه قد مـات، وإنما بقـيت قوى الحيـاة وحركاتهـا فيمـا علا، والحياء فـى العينين وذلك وقت الحياء، والكافر فى عمى عن هـذا كله، والموحد المعذب فى شغل عن هذا بالعذاب الذى قد حل به، وإنما العرق يظهر لمن حلت به الرحمة، فإنه ليس من ولى ولا صديق ولا بر إلا وهو مستحى من ربه، مع البشرى والتحف والكرامات.

وقد تظهـر العلامـات الثلاث، وقـد تظهر واحـدة، وتظهر اثنتان، وذلك بحسب تفاوت الناس فى الأعمال، والله أعلم.

قبض روح المسلم والكافر

خرج أبو نعيم من حديث الأعمش عن إبراهيم عن علقمة،

عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «إن نفس المؤمن تخرج رشحا، وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها عنه، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها».

قيل: إذا أراد الله سبحانه وتعالى بعبده هداية وتثبيتا جاءته الرحمة ويحضر إليه جبريل عليه السلام فيطرد عنه الشياطين، ويمسح الشحوب عن وجهه، فيبتسم الميت لا محالة، وكثير من يرى مبتسما فى هذا المقام فرحا بالبشير الذى جاءه من الله تعالى فيقول: يا فلان أما تعرفنى؟ أنا جبريل، وهؤلاء أعداؤك من الشياطين، مت على الملة الحنيفية والشريعة الخليلية، فما شىء أحب إلى الإنسان وأفرح منه بذلك الملك، ثم يقبض.

- وورد عن مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله».

وقد قيل إن حسن الظن بالله تعالى ينبغى أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه فى حال الصحة وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له.

وقيل: الخوف أفضل من الرجاء ما كان العبد صحيحا، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف.

وورد أنه لا تخرج روح عبد حتى يبشر وأنه يصعد بها، وإذا استنقعت نفس المؤمن حين تقبض جاءه ملك الموت فقال: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرئك السلام، يقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ﴾ (النحل: ٣٢)

فهم الذين تقبض الملائكة أرواحهم حال كونهم أبرارا قد تطهروا من دنس الشرك والمعاصي، طيبة نفوسهم بلقاء الله، والملائكة يأتونهم بالسلام من عند الله تعالى.

وقال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام.

وعن ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحا قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان ابن فلان، فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة

كانت فى الجسد الطيب، ادخلى حميدة، وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله تعالى.

وإذا كان الرجل السوء قال: اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث، اخرجى ذميمة، وأبشرى بحميم وغساق، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث، ارجعى ذميمة، فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء، ثم تصير إلى القبر.

- وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين، ويقال: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)** ﴾ (الفجر: ٢٧ - ٣٠).

ثم إن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة، فتنزع روحه انتزاعا شديدا، ويقال: أيتها النفس الخبيثة، اخرجى ساخطة مسخوطا عليك إلى هوان الله وعذابه، فإذا

خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة، ويطوى عليها المسح، ويذهب بها إلى سجين.

وروى ابن المبارك عن أبى أيوب الأنصارى ﵁ قال إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى كما يتلقون البشير فى الدنيا، فيقبلون عليه يسألونه، فيقول بعضهم لبعض: أنظِروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان فى كرب شديد، قال: فيقبلون عليه فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة... فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: إنه هلك فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم، وبئست المربية، قال: فتعرض عليهم أعماله، فإن رأوا حسنا فرحوا واستبشروا، وقالوا: اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا شرا قالوا: اللهم راجع عبدك.

حديث البراء فى قبض الأرواح

يقول البراء: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطير، فجعل يرفع بصره وينظر إلى السماء، ويخفض بصره وينظر إلى الأرض، ثم قال: «أعوذ بالله من عذاب الله - قالها مرارا - ثم قال: إن

العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول: اخرجي أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السقاء، وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوة كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة، وحنوط من حنوطها، فيجلسون منه مد البصر، فإذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة عين، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾ (الأنعام: ٦١).

قال فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت، فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح؟ فيقال: فلان، بأحسن أسمائه، حتى ينتهوا به إلى أبواب سماء الدنيا فيفتح له، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى تنتهي به إلى السماء السابعة فيقال: اكتبوا كتابه في عليين، وذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ⁽١٨⁾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ⁽١٩⁾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ⁽٢٠⁾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ⁽٢١⁾ ﴾ (المطففين: ١٨ - ٢١).

فيكتب كـتابه فى عليين ثم يقـال: ردوه إلى الأرض، فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم، وفيـها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى، قال: فيرد إلى الأرض، وتعاد روحه إلى جسده، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهـرانه ويجلسانه فيقولان: من ربك، وما دينـك، ومن نبيك؟ فـيقول: ربى الله، وديـنى الإسلام، فيقـولان فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فـيقول: هو رسول الله، فيقولان: وما يدريك؟ فـيقول: جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (إبراهيم: ٢٧)

قال: وينادى منادى السماء أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة، وألبسـوه من الجنة، وأروه منزله منها، ويفـسح له مد بصـره، ويمثل عـمله له فى صـورة رجل حسن الوجـه طيب الرائحـة حسن الثيـاب فيـقول: أبشـر بما أعد الله لـك، أبشر برضوان من الله وجنات فـيها نعيم مـقيم، فيقـول: بشرك الله بخيـر، من أنت؟ فوجهك الوجه الذى جـاء بالخير، فيـقول: هذا يومك الذى كنت توعـد، أو الأمـر الذى كنت توعـد، أنا عملك الصالح، فوالله ما علمـتك إلا كنت سريعا فى طاعة الله

بطيئا عن معـصية الله، فجزاك الله خيـرا، فيقول: يا رب: أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: فإن كان فاجرا، وكان في إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة جاءه ملك فجلس عند رأسه فقال: اخرجي أيتها النفس الخبيـثة وأبشري بسخط مـن الله وغضبه، فتنزل مـلائكة سود الوجوه مـعهم مسـوح من نار، فإذا قبـضها الملك قـاموا فلم يدعوها في يده طرفة عين، قال: فتفرق في جسده فيستخرجها، فتـقطع منها العـروق والعصب كـالسفود الكثـير المـشعب في الصوف المبتل، فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن جيفة وجدت، فلا تمر على جند فـيما بين السمـاء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فـلان، بأسوأ أسمائه، حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فلا يفتح لهم فيقولون: ردوه إلى الأرض، إني وعدتهم أني منها خلقـتهم وفيها نعيدهم، ومنـها نخرجهم تارة أخـرى، قال: فـيرمى به من السـماء، قـال: وتلا هذه الآية: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج: ٣١).

قال: فـيعاد إلى الأرض، وتعـاد فيه روحـه، ويأتيه ملكان شديدا الانتـهار، فينتهـرانه ويجلسانه فيقـولان: من ربك؟ وما

دينك؟ فيقول: لا أدرى، فيقولون: فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فلا يهتدى لاسمه، فيقال: محمد، فيقول: لا أدرى، سمعت الناسَ يقولون ذلك، قال: فيقال: لا دريت، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه، فيقول: من أنت؟ فوجهك الذى جاء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئا على طاعة الله، سريعا إلى معصية الله، فيقيض له أصم أبكم بيده مرزبة لو ضرب بها جبل صار ترابا، أو قال: رميما، فيضربه ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين (الإنس والجن) ثم تعاد فيه الروح فيضرب ضربة أخرى.

كيفية توفى الموتى

قالوا: إن روح الكافر إذا طردت من السماء وعادت إلى الأرض ابتدرته الزبانية وسارت به إلى سجين، وهى صخرة عظيمة تأوى إليها أرواح الفجار، أما النصارى واليهود فترد روحهم من السماء إلى قبورهم هذا من كان منهم على شريعته، وأما المشرك والمنافق فترد روحهما ممقوتة مطرودة إلى القبر.

أما المقصرين من المؤمنين فتختلف أنواعهم: فمنهم من ترده صلاته، لأن العبد إذا قصر فى صلاته يعد سارقا لها، ومنهم من ترده زكاته لأنه إنما يزكى ليقال: فلان متصدق، ومن الناس من يرده صومه لأنه صام عن الطعام ولم يصم عن الكلام، فهو رفث وفسوق، ومنهم من يرده حجه لأنه حج ليقال: فلان حج أو يكون حج بمال حرام.

وقد يسأل سائل: كيف يقبض ملك الموت فى زمن واحد أرواح من يموت بالمشرق والمغرب؟ فيكون الجواب: أن التوفى مأخوذ من توفيت الدّين واستوفيته إذا قبضته ولم تدع منه شيئا، وهو تارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك بنفسه، وتارة إلى أعوانه من الملائكة، لأنهم قد يتولون ذلك أيضا، وتارة إلى الله تعالى، وهو المتوفى على الحقيقة، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر: ٤٢).

هذا ومن الآيات التى وردت فى خلق الموت والحياة: قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ (الحج: ٦٦)

وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢ ﴾ (الملك: ١، ٢).

ـ والموت ليس فناء ولا انقطاعا بالكلية عن الحياة، وإنما هو انتقال من دار إلى دار، وانقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقتها للجسد لامتحان الناس واختبارهم، ومعرفة المطيع منهم والعاصي، وكل مأمور من الملائكة بقبض الروح إنما يفعل ما يفعل بأمره سبحانه وتعالى، وحين يقبض ملك الموت الروح من الجسد يسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمنا، وإلى ملائكة العذاب إن كان كافرا.

سكرات الموت

وردت آيات في القرآن الكريم تصف شدة الموت وسكراته:

١ - قال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ (ق: ١٩).

والمعنى: وجاءت غمرة الموت وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله بالأمر الحق من أهوال الآخرة حتى يراها من ينكرها حقا، ويشاهدها عيانا وأمرا واقعا، وذلك أيها الإنسان ما كنت تفر منه وتهرب.

٢- قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٣).

والمعنى: ولو ترى يا محمد هؤلاء الظلمة وهم فى سكرات الموت وشدائده لـرأيت أمرا خطيرا وعظيما، ومـلائكة العذاب يضربونهم لتخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: خلصوا أنفسكم من العـذاب، وأخرجـوا أرواحكم إلينا، فـأنتم الآن تجـزون العذاب والهـوان والخـزى بسبب افـتـراائكم على الله بالشرك، وتكبركم عن الإيمان بآيات الله تعالى.

٣- قال تعالى: ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) ﴾ (الواقعة: ٨٣ - ٨٥).

والمعنى: فـهـلا إذا بلغت الروح الحـلقـوم عند مـعـالجـة سكرات المـوت وأنتم فى ذلك الوقت تنظرون إلى المـحتـضر وما يـعانيـه من شدائد وأهوال، ولا تبـصرون مـلائكتنا الذين حضروه لقبض روحه.

٤- قـال تعـالى: ﴿ كَـلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّـرَاقِيَ (٢٦) وَقِـيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّـاقُ بِالسَّـاقِ (٢٩) ﴾
(القيامة: ٢٦ - ٢٩)

والمعنى: إذا بلغت الرّوح الحلقـوم، فيكون هذا هـو حال الإنسان عند الاحتضـار حيث تكون الأهوال والشدائد، ويلقى المرء من الكرب والضيق ما لم يكن فى حسبانه.

الانبياء وسكرات الموت وشدته

- روى أن الله سبحانه وتعـالى قال لإبراهيم عليـه السلام: يا خليلى كيف وجدت الموت؟ قال: كسفود محمى جُعل فى رطب ثم جذب.

- وروى أن موسى عليـه السلام لما صـارت روحه إلى الله تعـالى قال له ربـه: يا موسى، كـيف وجـدت الموت؟ قـال: وجـدت نفسى كـالعصـفور الذى حـين يقلى على المـقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير.

- وروى عن مـوسى عليه السـلام أيضـا أنه قال: وجـدت نفسى كشاة تسلخ بيد القصاب وهى حية.

- وروى أن عيسى عليه السلام قال: يا معشر الحواريين، ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة، يعنى سكرات الموت وشدته.

ـ وروى البخارى عن عائشة ﵁: أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فيجعل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات» ثم نصب يديه فجعل يقول: «فى الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده.

وخرج الترمذى عنها قالت: «ما أغبط أحدا بهون الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ».

وأخرج البخارى عنها قالت: «مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى، فلا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد النبى ﷺ».

والحاقنة: المطمئن بين الترقوة والحلق، والذاقنة: نقرة الذقن، وقال الخطابى: الذاقنة: ما تناله الذقن من الصدر.

– وذكر أبو بكر بن أبى شيبة فى «مسنده» عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قال: «تحدثوا عن بنى إسرائيل، فإنه كانت فيهم أعاجيب» ثم أنشأ يحدثنا قال: «خرجت طائفة منهم فأتوا على مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت قال: ففعلوا فبينما هم كذلك إذ طلع رجل رأسه بيضاء، أسود اللون خلا شىء، بين عينيه أثر السجود فقال يا هؤلاء ما أردتم إلىّ؟ لقد مت منذ

مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن، فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت».

- وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال: حدثنا أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «إن العبد ليعالج كرب وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول: عليك السلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة».

- وذكر أبو نعيم فى الحلية من حديث مكحول عن واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ أنه قال: «والذى نفسى بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف».

- وعن أنس بن مالك عن النبى ﷺ «إن الملائكة تكتنف العبد وتحبسه، ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحارى والبرارى من شدة سكرات الموت».

وجاءت الرواية بأن ملك الموت عليه السلام إذا تولى الله قبض نفسه بعد موت الخلائق يقول: «وعزتك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم ما قبضت نفس مؤمن» ذكره القاضى أبو بكر.

- عن شهر بن حوشب قال: سئل رسول الله ﷺ عن الموت وشدته فقال: «إن أهون الموت بمنزلة حسكة كانت فى صوف، فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف».

بعض الصالحين وسكرات الموت

- قال شهر بن حوشب: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه يا أبتاه؟ إنك لتقول لنا: ليتنى كنت ألقى رجلا عاقلا لبيبا عند نزول الموت حتى يصف لى ما يجد، وأنت ذلك الرجل، فصف لى الموت، فقال: يا بنى والله كأن جنبى فى تخت، وكأنى أتنفس من سم إبرة، وكأن غصن شوك يجذب من قدمى إلى هامتى.

- وعن أبى ميسرة رفعه قال: «لو أن ألم شعرة من الميت وضع على أهل السماء والأرض لماتوا جميعًا».

معرفة سكرات الموت وكربه

- قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين فما لنا عن ذكره مشغولين؟ وعن الاستعداد له متخلفين؟ ﴿ **قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨)** ﴾ (سورة ص: ٦٧، ٦٨) قالوا: وما جرى على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين من شدائد الموت وسكراته، فله فائدتان:

إحداهما: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن وقد

يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقا ويرى سهولة خروج روحه، فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه؟ فلما ذكر الأنبياء الصادقون فى خبرهم شدة ألمه، مع كرامتهم على الله تعالى وتهوينه على بعضهم، قطع الخلق بشدة الموت الذى يعانيه ويقاسيه الميت مطلقا لإخبار الصادقين عنه، ما عدا الشهيد في سبيل الله فإنه لا يحس شدة الموت.

الثانية: ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء أحباب الله وأنبياؤه ورسله، فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة؟ وهو سبحانه قادر أن يخفف عنهم أجمعين، كما قال فى قصة إبراهيم: «أما قد هونا عليك» فالجواب: «أن أشد الناس بلاء فى الدنيا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» كما قال نبينا ﷺ، فأحب الله أن يبتليهم تكميلا لفضائلهم لديه، ورفعة لدرجاتهم عنده، وليس ذلك فى حقهم نقصا، ولا عذابا، بل هو كما قال كمال رفعة مع رضاهم بجميل ما يجرى الله عليهم، فأراد الحق سبحانه أن يختم لهم بهذه الشدائد، مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم، ليرفع منازلهم ويعظم أجورهم قبل موتهم.

الموت كفارة لكل مسلم

ـ روى أبو نعيم عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الموت كفارة لكل مسلم».

وإنما كان المـوت كفارة لكل ما يلقاه المـيت فى مرضه من الآلام والأوجاع، وقد قـال ﷺ: «ما من مسلم يصـيبه أذى من مرض فـما سواه إلا حط الله به سيـئاته كما تحط الشـجرة ورقها» (مسلم).

ـ وفى الموطأ للإمام مـالك عن أبى هريرة: عن رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خـيرًا يصب منه» وفى الخـبر المـأثور يقول الله تعـالى: «إنى لا أخرج أحدًا مـن الدنيا، وأنا أريد أن أرحمه، حتى أوفـيه بكل خطيئة كان عملها سقـما فى جسده، ومصيبة فى أهله وولده، وضيقًـا فى معاشه، وإقتارا فى رزقه، حتى أبلغ منه مـثاقيل الذر، فـإن بقى عليه شىء شـددت عليه الموت، حتى يفضى إلىّ كيوم ولدته أمه».

وهذا بخلاف من لا يحبه ولا يرضاه كما فى الخبر يقول الله تعـالى: «وعزتى وجـلالى لا أخـرج من الدنيـا عبـدًا أريد أن أعذبه، حتى أوفيه بكل حسنة عملهـا بصحة فى جسده، وسعة فى رزقه، ورغـد فى عيـشه، وأمن فى سربه، حـتى أبلغ منه

مثاقيل الذر، فإن بقى له شيء هونت عليه الموت، حتى يفضى إلىَّ وليس له حسنة يتقى بها النار».

وفى مثل هذا المعنى ما خرجه أبو داود بسند صحيح فيما ذكر أبو الحسن بن الحصار عن عبيد بن خالد السلمى عن النبى ﷺ «موت الفجأة أخذة أسف للكافر».

وروى الترمذى عن عائشة رضي الله عنها: «إنها راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر».

- عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شىء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفا فى الدنيا، هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار».

حسن الظن بالله والخوف منه عند الموت

- روى مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاثة أيام: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» (البخارى).

وذكره ابن أبى الدنيا وزاد: فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم

بالله فقال لهم تبارك وتعالى: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (فصلت: ٢٣).

- وروى ابن ماجه عن أنس أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال: «كيف تجدك»؟ فقال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ «لا يجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخاف».

وحسن الظن بالله تعالى، ينبغى أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه فى حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له، وينبغى لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل فى قوله تعالى: «أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء» (حديث قدسى).

- وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة».

- وروى عن ابن عمر أنه قال: «عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه: حسن الظن بالله، فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله يدخل الجنة مدلا» أى منبسطا لا خوف عليه.

- وقال عبد الله بن مسعود: «والله الذى لا إله غيره، لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده».

فوائد الخوف من الله فى الدنيا

ذكر الترمذى قال: حدثنا يحيى بن حبيب عن عدى قال: حدثنا بشر المفضل عن عوف عن الحسن أنه قال: بلغنى عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال ربكم عز وجل: «لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين، فمن خاف فى الدنيا أمنته فى الآخرة، ومن أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة».

ثواب من استحيا من الله فى الدنيا

روى أبو بكر بن سابق الأموى قال: قال أبو مالك الجنبى عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يذكر من مناجاة موسى عليه السلام أنه قال: «يا موسى إنه لن يلقانى عبد لى فى حاضر القيامة إلا فتشته عما فى يديه إلا ما كان من الورعين، فإنى أستحييهم وأجلهم فأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب» فمن استحيا من الله تعالى فى الدنيا مما صنع استحيا الله تعالى من تفتيشه وسؤاله، ولم يجمع عليه حياءين، كما لا يجمع عليه خوفين.

تلقين الميت الشهادة

ـ مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله».

ـ عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله، فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة».

ـ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «احضروا موتاكم ولقنوهم: لا إله إلا الله وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون».

قال العلماء: تلقين الموتى هذه الشهادة سنة مأثورة عمل بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة، وليدخل فى عموم قوله ﷺ : «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» (أبو داود) فإذا تلقنها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه لئلا يضجر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين، والإلحاح عليه إذا هو تلقنها أو فهم ذلك عنه.

قال ابن المبارك «لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه» وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لج (كرر) بها أن يتبرم ويضجر، ويثقلها الشيطان عليه، فيكون ذلك سببا لسوء الخاتمة.

الحكمة من تلقين الميت الشهادتين

ـ ذكر أبو نعيم من حديث مكحول عن إسماعيل بن عياش ابن أبى معاذ عن عتبة بن حميد عن مكحول عن واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ : «احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحكيم من الرجال يتحير عند ذلك المصرع، وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع، والذى نفسى بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، والذى نفسى بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله».

ـ روى عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حضر ملك الموت رجلا، قال: فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيئا، ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول: لا إله إلا الله فغُفر له بكلمة الإخلاص» (الطبرانى).

ما يقال فى حضرة الميت

من يحضر الميت فلا يلغو، وليتكلم بخير، وليقم بالدعاء له إذا مات، ويقوم بتغميض عينيه.

ـ فقد روى مسلم عن أم سلمة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ : «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا، فإن

الملائكة يؤمنون على ما تقولون» قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبى ﷺ فقلت يا رسول الله: إن أبا سلمة قد مات، فقال: قولى: اللهم اغفر لى وله، وأعقبنى منه عقبى حسنة» قالت: فقلت: فأعقبنى الله من هو خير منه، رسول الله ﷺ .

ـ وعنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» فضج ناس من أهله، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» ثم قال: «اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين، واخلفه فى عقبه فى الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له فى قبره، ونوّر له فيه».

ـ قال العلماء: قوله ﷺ : «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا» أمر ندب وتعليم بما يقال عند المريض أو الميت، وإخبار بتأمين الملائكة على دعاء من هناك، ولهذا استحب العلماء أن يحضر الميت الصالحون وأهل الخير حالة موته ليذكروه ويدعوا له ولمن يخلفه ويقولوا خيرا، فيجتمع دعاؤهم وتأمين الملائكة فينتفع بذلك الميت ومن يصاب به ومن يخلفه.

الأعمال بخواتيمها

إن الأعمال عرفت بخواتيمها، فنعوذ بالله من سوء الخاتمة، ونعوذ بعمل الشر عند الاحتضار.

- روى مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة».

- وقد قيل: إن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا تكون لمن استقام ظاهره، وصلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم به، وإنما تكون لمن كان له فساد فى العقل أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيتخطفه الشيطان عند تلك الدهشة، أو يكون مستقيما ثم يتغير عن حاله، ويخرج عن سنته فيكون ذلك سببا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته.

- روى عن سهل بن سعد عن النبى ﷺ قال: «إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم» (البخارى) والعبرة - حين يتوفى الإنسان - أن يموت على الإسلام، وأن

يتوب قبل احتضاره، وأن يسلم من شر من حوله، وفى هذا يقول الرسول ﷺ : «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» أى عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم يعاين العبد ما يصير إليه من رحمة أو هوان، ولا تنفع حينئذ توبة ولا إيمان، كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ (غافر: ٨٥) وقال تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾ (النساء: ١٨).

ـ روى البخارى عن سالم عن عبد الله قال: كان النبى ﷺ يحلف «لا ومقلب القلوب» والمعنى: يصرفها أسرع من مر الريح على اختلاف فى القبول والرد، والإرادة، والحب، والكراهية، وغير ذلك من الأوصاف.

يقول تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٤) فإنه تعالى هو المتصرف فى جميع الأشياء، يصرف القلوب كيف يشاء بما لا يقدر عليه صاحبها، فيفسخ عزائمه، ويغير مقاصده، ويلهمه الرشد والصواب، أو يزيغ قلبه عن الصراط السوى ولو قال الناس ما قالوا حوله حين مماته.

عن عائشة ﵂ كان النبى ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب

القلوب ثبت قلبى على طاعتك» فـقلت يا رسول الله: إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخـشى؟ قال: «وما يؤمننى يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعـين من أصابع الجبار إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه».

– يقـول العلمـاء: إذا كـانت الهـداية إلى الله مصـروفـة، والاستـقامـة على مشـيئتـه موقـوفة فلا تـعجب أيها المـسلم بإيمانك، ولا تفخر أيها الإنسان بعملك أو صلاتك وصومك، فإن ذلك ـ وإن كـان من كسـبك ـ فإنه من خلق ربك وفـضله عليك وخيـره، فمهـما افتخـرت بذلك كنت كالمفـتخر بمـتاع غيره، وربمـا سُلب عنك فعاد قلبك من الخيـر الذى كنت فيه أخلى من جـوف البعيـر، فكم من روضة أمـست وزهرها يانع عميم فأصبحت وزهرها يابس هشيم، كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم، فـيصبح وهو بمعصيـته مظلم سقيم، ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم.

من أجل ذلك علينا أن نأخذ حـذرنا حتى عند مماتنـا، فقد ورد عن الرسول ﷺ قـوله: «إن الشيطان يأتى أحـدكم عند موته فيقول: مت نصرانيا، مت يهوديا».

فالشيطان اللعين دائمًا فى غواية الإنسان، وهذه رسالته إلى

يوم القيامة، حتى إذا أضله ساعة احتضاره تبرأ منه، قال تعالى ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الحشر: ١٦).

والتوبة من الميت فى حالة احتضاره إذا قال: إنى تبت الآن فهى غير مقبولة منه، يقول تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٨).

إنما يقبل الله جل شأنه التوبة من عباده المخلصين الذين قال فيهم: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٧).

قالوا فى التوبة النصوح:

هى رد المظالم، وإدمان الطاعات، وفسروا الذنوب التى يتاب منها بالآتى: منها ما هو كفر أو غيره، فتوبة الكافر إيمانه مع ندمه على سالف كفره، وغير الكفر إما حق الله وإما حق غيره،

فحق الله تعالى يكفى فى التوبة منه الترك، غير أنه منها ما لم يكتف الشرع فيها بمجرد الترك، بل أضاف إلى ذلك فى بعضها قضاء كالصلاة والصوم، ومنها ما أضاف إليه كفارة كالحنث فى الأيمان وغير ذلك، وأما حقوق الناس فلا بد من إيصالها إلى مستحقيها، فإن لم يوجدوا تصدق عنهم، ومن لم يجد السبيل لخروج ما عليه لإعساره فعفو الله مأمول وفضله مبذول، فكم ضمن من التبعات، وبدل من السيئات وجعل مكانها الحسنات.

وعلى التائب أن يكثر من الأعمال الصالحات، ويستغفر لظالميه من المؤمنين والمؤمنات، يقول الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٣١).

ويقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (التحريم: ٨).

الغسل والكفن

قالوا: إذا مات الميت فإن الملائكة ترفع روحه حتى توقفها بين يدى الله سبحانه وتعالى فيسألها، فإن كانت من أهل السعادة قال الله لهم: سيروا بها، وأروها مقعدها من الجنة، فيسيرون بالروح فى الجنة على قدر ما يغسل الجسد، فإذا غُسل

الميت وكُفن رُدت روحه وأدرجت بين كفنه وجسده، فإذا حُمل على النعش وصُلى عليه ووصل إلى قبره فإنه يسمع كلام الناس من تكلم منهم بخير ومن تكلم بشر.

وقيل: ما من ميت يموت إلا وروحه فى يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل، وكيف يكفن، وكيف يُمْشَى به فيجلس فى قبره.

وفى الاحتضار ينبغى أن يلقن لا إله إلا الله، وأن يوجه إلى القبلة، وإذا مات غمضت عيناه، ولا يقول أهله إلا الكلام الحسن، لأن الملائكة يؤمنون على ما يقولون، ويسجى بثوب، ويسارع الورثة بقضاء دينه وإبراء ذمته من نذر أو كفارة لقول الرسول ﷺ: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه ..» ويسن الإسراع فى تجهيزه لقول النبى ﷺ: «لا ينبغى لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهرانى أهله».

ما ورد فى فضل تغسيل الميت وتكفينه

ورد فى فضل تغسيل الميت وتكفينه ما جاء عن أبى رافع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من غسَّل ميتا غفر الله له أربعين كبيرة، ومن كفن ميتا كساه الله من سندس وإستبرق فى الجنة

ومن حفر قبرا فأجنه فيه [أدخله] أجرى الله له من الأجر كأجر مسكن أسكنه إلى يوم القيامة» (مسلم).

وغسل الميت وتكفينه فرض كفاية على من علم به من المسلمين إذا قام بهما من يكفى سقط الإثم عن الباقين، وإلا أثم كل من حضره فلم يفعل.

ما يشترط فيمن يتولى تغسيل الميت

يشترط فيمن يقوم بتغسيل الميت أن يكون مسلما، وينبغى أن يكون ثقة أمينا عالما بأحكام الغسل، ثم إن كان الميت رجلا تولى تغسيله الرجال، ولا يجوز للنساء إلا الزوجة فلها أن تغسل زوجها، وإن كان الميت امرأة تولى تغسيلها النساء ولا يجوز للرجال تغسيلها إلا الزوج فله أن يغسل زوجته، وإن كان الميت صغيراً دون سبع سنين لا يشتهى جاز للرجال والنساء تغسيله.

ما يشترط فى ماء الغسل

يشترط فى الماء الذى يغسل به أن يكون طهورا ومباحا، والأفضل أن يكون باردا إلا عند الحاجة لإزالة وسخ على الميت أو فى شدة برد فلا بأس بتسخينه.

ما يفعل بالميت قبل التغسيل

أن يستر ما بين سرته وركبته وجوبا، ثم يجرد من ثيابه ويوضع على خشبة الغسل منحدرا نحو رجليه لينصب عنه الماء وما يخرج منه، ويكون مكان الغسل مستورا عن الأنظار ومسقوفا، ولا يحضر التغسيل إلا الذى يغسل ومن يعينه، ويكره لغيرهم حضوره لا كما يفعل الآن يعزم على البعض بالحضور.

كيفية الغسل

ينبغى أن يرفع الغاسل رأس الميت إلى قرب جلوسه، ثم يمر يده على بطنه ويعصره برفق ليخرج منه ما هو مستعد للخروج، وأن يكثر من صب الماء حينئذ ليذهب بالخارج بعيدا، ويلف الغاسل على يده خرقة خشنة، ثم ينوى التغسيل ويسمى بالبسملة ويوضئه كوضوء الصلاة تماما إلا فى المضمضة والاستنشاق، ويكفى مسح الأسنان والمنخرين بخرقه مبلولة بالماء، ثم يغسل الرأس واللحية بالصابون، ويغسل ميامن الجسد (الأعضاء اليمنى) وصفحة العنق واليد والكتف والصدر والجنب والفخذ والساق والقدم، وذلك بأن يلف على يده خرقة وهو يقوم بالتغسيل، وكذلك يفعل بالشق

الأيسر، والواجب غسل الميت مرة واحدة، والمستحب ثلاث غسلات، ويستحب كذلك أن يجعل فى الغسلة الأخيرة كافورا لأنه يصلب بدن الميت ويطيبه ويبرده وحتى يبقى أثره لمدة مقبولة.

ثم بعد التغسيل ينشف بثوب ونحوه ويقص شاربه وتقلم أظفاره إن طالت، ويؤخذ شعر إبطيه ويجعل المأخوذ معه فى الكفن، وشعر المرأة يكون على ثلاثة قرون ويسدل من ورائها.

أما إذا تعذر غسل الميت لعدم وجود الماء أو خيف تقطعه بالغسل كالمجذوم والمتحرق أو كان الميت امرأة مع رجال وليس فيهم زوجها أو رجلا مع نساء وليس فيهم زوجته، فإن الميت فى هذه الأحوال ييمم بالتراب بمسح وجهه وكفه من وراء حائل على يد الماسح.

وأخيرا يستحب لمن غسل ميتا أن يغتسل وليس ذلك بواجب.

التكفين وأحكامه

يشترط فى الكفن أن يكون ساترا، ويستحب أن يكون أبيض نظيفًا سواء كان جديدا وهو الأفضل، أو أن يكون مستعملا مغسولا طاهرا، ويشترط فيه أن يستر جميع جسد الميت.

ويستحب تكفين الرجل فى ثلاث لفائف، وتكفين المرأة فى خمسة أثواب: إزار وخمار وقميص ولفافتين، ويكفن الصغير فى ثوب واحد، ويباح فى ثلاثة أثواب، وتكفن الصغيرة فى قميص ولفافتين، كما يستحب تجمير الأكفان بالبخور بعد رشها بماء الورد ونحوه لتعلق بها رائحة البخور.

أما عن صفة تكفين الرجل أن تبسط اللفائف الثلاث بعضها فوق بعض، ثم يؤتى بالميت مستورا وجوبا بثوب ونحوه، ويوضع فوق اللفائف مستلقيا ثم يؤتى بالطيب ويجعل منه فى قطن بين أليتى الميت، ويشد فوقه خرقة، ثم يجعل باقى القطن المطيب على عينيه ومنخريه وفمه وأذنيه وعلى مواضع سجوده: جبهته وأنفه ويديه وركبتيه وأطراف قدميه، وتحت الإبطين وطى الركبتين وسرته، ويجعل من الطيب بين الأكفان وفى رأس الميت، ثم يرد طرف اللفافة العليا من الجانب الأيسر على شقه الأيمن، وطرفها من الجانب الأيمن على شقه الأيسر، ثم الثانية والثالثة كذلك، بحيث يكون الفاضل من طول اللفائف عند رأسه أكثر مما عند رجليه، ويجمع الفاضل عند رأسه ويرد على وجهه، ثم يعقد على اللفائف لئلا تنتشر وتحل العقد فى القبر.

أما عن صفة تكفين المرأة: أن تكفن المرأة فى خمسة

أثواب: إزار تؤزر به، ثم تلبس قميصا ثم تخمر بخمار على رأسها، ثم تلف بلفافتين.

الإسراع بالجنازة

ينبغي الإسراع بالجنازة بعد الغسل والتكفين، فعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة فخير قدمتموها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم» (البخارى).

وعن أبى سعيد الخدرى: كان النبى ﷺ يقول: «إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدمونى، قدمونى، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شىء إلا الإنسان ولو سمعه لصعق» (البخارى).

صلاة الجنازة

روى البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان» قيل: ما القيراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين».

حكم صلاة الجنازة

صلاة الجنازة فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين، وتبقى في حق الباقين سنة، وإن تركها الكل أثموا.

شروطها:

النية - استقبال القبلة - ستر العورة - الطهارة - الإسلام للمصلِّي والمصلَّى عليه.

أركانها:

القيام فيها - أربع تكبيرات: يقرأ في الأولى الفاتحة وفي الثانية: الصلاة على النبي ﷺ (الجزء الأخير من التشهد) وفي الثالثة: الدعاء للميت، وفي الرابعة: الدعاء لنفسه وللمسلمين، ثم التسليم، ويقف الإمام عند صدر الرجل (الميت) ووسط المرأة (الميتة) ويقف المأمومون خلفه، ويسن أن يكونوا ثلاثة صفوف.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس».

القبر أول منازل الآخرة

- روى ابن ماجه عن هانئ بن عثمان قال: كان عثمان رضي الله عنه

إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه».

ـ وروى مسلم عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه، وخرجه الترمذى أيضًا عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ.

ـ قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ يسنم القبر ليعرف كى يحترم، ويمنع الارتفاع الكثير الذى كانت الجاهلية تفعله، فإنها كانت تصلى عليها، وتبنى فوقها تفخيما لها وتعظيما.

ما يتبع الميت إلى قبره وما يبقى معه فيه

ـ روى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاث، فيرجع اثنان ويبقى واحد: يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله».

يختار للميت قوم صالحون يكون معهم

ـ عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «إذا مات لأحدكم الميت فحسنوا كفنه، وعجلوا إنجاز وصيته، وأعمقوا له فى

قبره وجنبوه جار السوء» قيل: يا رسول الله، وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة؟ قال: «هل ينفع في الدنيا» قالوا: نعم، قال: «كذلك ينفع في الآخرة» وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس عن عمه نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذى بالجار السوء».

الميت يعذب ببكاء أهله عليه
إذا كان البكاء من سنة الميت

ـ روى أبو هدبة قال إبراهيم بن هدبة قال: حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد الميت إذا وضع في قبره وأقعد» قال: «يقول أهله: واسيداه، واشريفاه، واأميراه» قال: «يقول الملك: اسمع ما يقولون، أنت كنت سيدا؟ أنت كنت أميرا؟ أنت كنت شريفا؟» قال: «يقول الميت: ياليتهم يسكتون» قال: «فيضغط ضغة تختلف فيها أضلاعه».

قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم: قال بعض العلماء أو أكثرهم: إنما يعذب الميت ببكاء الحي إذا كان البكاء من سنن الميت واختياره، كما قال طرفة بن العبد:

إذا مت فـانعـينى بمـا أنـا اهله
وشقى علىَّ الحـبيب يا ابنة معـبد
ولا تجـعلينى كـامـرئ ليس همـه
كـهمى ولا يغنى غنائى ومـشهـدى

وضع الميت فى القبر واللحد فى القبر

اللحد: هو أن يحـفـر للمـيت فى جانـب القبـر إن كـانت الأرض صلبـة، وهو أفضل من الشق، فـإنه الذى اختـاره الله لنبيه ﷺ .

ـ روى ابن ماجه عن ابن عباس قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ بعثـوا إلى أبى عبيدة، وكان يضـرح كضريح أهل مكة، وبعثـوا إلى أبى طلحة وكان هو الذى يحـفر لأهل المدينة وكان يلحد (يقوم بعمل اللحد) فـبعثوا إليهما رسولين، قالوا: اللهم خـر لرسولك، فوجدوا أبا طلحـة فجىء به، ولم يوجد أبو عبيدة فلحد لرسول الله ﷺ .

تلقين الميت بعد موته شهادة الإخلاص فى لحده

ذكر أبو محـمد عبد الحق عن أبى أمامة البـاهلى قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحـدكم على رأس قبـره، ثم يقول: يا فـلان ابن فلانة، فـإنه

يسمع ولا يجيب، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة، الثانية فإنه يستوى قاعدا، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة الثالثة فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله، ولكنكم لا تسمعون، فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأنك رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا، وبالقرآن إماما، فإن منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما، يقول: انطلق بنا ما يقعدنا عن هذا، وقد لقن حجته، ويكون حجيجهما دونه، فقال رجل: يا رسول الله فإن لم نعرف، أمه؟ قال: «ينسبه إلى أمه حواء».

الوقوف قليلا عند القبر بعد الدفن والدعاء للميت بالتثبيت. والمكروه عمله بعد الموت

- روى مسلم عن أبى شماسة المهرى، قال: حضرنا عمرو ابن العاص وهو فى سياقة الموت . . . الحديث، وفيه: فإذا دفنتمونى فشنوا علىّ التراب شنا، ثم أقيموا حول قبرى قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ما أراجع به رسل ربى عز وجل.

- وروى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان

رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فإنه الآن يُسأل».

ـ وقال عمرو بن العاص ﷺ: فإذا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، توصية منه باجتناب هذين الأمرين، لأنهما من عمل الجاهلية، نهى عنهما النبي ﷺ.

قال العلماء: ومن ذلك الضجيج بذكر الله سبحانه وتعالى أو بغير ذلك حول الجنائز، والبناء على المقابر، والاجتماع فى الجبانات والمساجد للقراءة وغيرها لأجل الموتى، وكذلك الاجتماع إلى أهل الميت، وصنع الطعام، والمبيت عندهم، كل ذلك من أمر الجاهلية، ونحو منه الطعام الذى يصنعه أهل الميت اليوم فى يوم الخميس، ويوم الأربعين والميعاد السنوى، فيجتمع له الناس ويريدون بذلك القربة للميت والترحم، وهذا محدث لم يكن فيما تقدم، ولا هو مما يحمده العلماء.

ـ وقال أحمد بن حنبل: هو من فعل الجاهلية، قيل له أليس قد قال النبى ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعامًا؟» فقال: لم يكونوا هم اتخذوا، إنما اتُّخِذ لهم، فى هذه كله واجب على الرجل أن يمنع أهله منه ولا يرخص لهم، فمن أباح ذلك

لأهله فقد عصى الله عز وجل، وأعانهم على الإثم والعدوان، والله تعالى يقول: ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم: ٦) قال العلماء: أدبوهم وعلموهم.

– وثبت فى الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

كلام القبر كل يوم للعبد إذا وضع فيه

– روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناس يكثرون، فقال: «أما إنكم لو أكثرتم من ذكر هازم اللذات: الموت، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه، فيقول: أنا بنت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت الدود والتراب، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبا وأهلا، أما كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلىَّ فإ ذا وليتك اليوم وصرت إلىَّ فسترى صنيعى، فيتسع له مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة، وذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحبا ولا أهلا، أما كنت لأبغض من يمشى على ظهرى، فإذا وليتك اليوم وصرت إلىَّ فسترى صنيعى بك، قال: «فيلتئم عليه حتى يلتقى وتختلف أضلاعه».

ضغط القبر على صاحبه وإن كان صالحا

ـ روى النسائى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «هذا الذى تحرك له عرش الرحمن (أى تحرك له حملة العرش) وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفا من الملائكة، لقد ضم ضمة ثم فرج عنه» قال أبو عبد الرحمن النسائى يعنى سعد بن معاذ.

سؤال الملكين للميت فى القبر

ـ روى البخارى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع فى قبره، ونزل عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله تعالى به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا» «وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول لا أدرى، كنت أقول ما يقول الناس» فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعه من يليه إلا ثقلين» (الإنس والجن).

بشرى المؤمن فى قبره

- قال كعب الأحبار: إذا وضع العبد الصالح فى قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة: إليكم (ابعدوا) عنه، فيأتون من قبل رأسه فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه، فقد أطال ظمأه لله عز وجل فى دار الدنيا، فيأتون من قبل جسمه فيقول الحج والجهاد إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل، لا سبيل لكم عليه، فيأتون من قبل يديه فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله عز وجل ابتغاء لوجهه، فلا سبيل لكم عليه، قال: فيقال له: نم هنيئا، طبت حيا وطبت ميتا.

يعرض على الميت مقعده بالغداة والعشى

- روى البخارى ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة».

تم الكتاب المبارك بعون الله

المراجع:

١- التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة. للإمام القرطبى ـ تحقيق طه عبد الرءوف سعد. .

٢- أحكام الجنائز ـ عبد الله بن جار الله.

٣- نعيم القبر وعذابه والاستعداد للموت ـ تأليف طه عبد الرءوف سعد.

٤- المعجم المفهرس للقرآن الكريم ـ محمد فواد عبد الباقى.

٥- إغاثة اللهفان ـ ابن قيم الجوزية

٦- الترغيب والترهيب ـ المنذرى ـ مراجعة طه عبد الرءوف سعد.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة